﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمَۢا ٧٠﴾ [النّساء: 70]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا ذكَرَ اللهُ كلَّ ما ترتَّب على طاعة الله، وطاعة الرَّسول ﷺ من أجر عظيم، وهداية إلى الصِّراط المستقيم، ورفقة مع الأخيار الأبرار أشار في هذه الآيةِ الكريمة إلى أنَّ ذلك الجزاءَ هو فضلٌ منَ الله تعالى العليِّ الكبير[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡفَضۡلُ﴾: الفاءُ والضَّادُ واللَّامُ: أَصلٌ صحيحٌ يدلُّ على زيادةٍ في شيءٍ، والفضلُ: هو الزِّيادةُ والخيرُ، والإفضالُ: الإحسانُ[2]، وأفضَلَ فلان على فلانٍ: أنالَه من فضلِه، وأَحسَنَ إليه[3]، والفواضل: الأيادي الجميلة[4]، فالفضل: الزِّيادة عنِ الاقتصاد، وذلك ضربان: محمود: كفضل العلم والحلم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه[5]، وكلُّ نعم اللَّه ﷻ فَضلٌ منه[6]، وفضل الله في الآية نِعَمُه الَّتي مَنَّ بها على عباده منَ التَّثبيت، والأجر العظيم، والهداية، ومرافقة المقرَّبين المصْطَفَينَ الأخيار.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

في معنى الآية الكريمة وجهان: أحدهما أنَّ جزاء مَن يطيع الله ورسوله هو الفضل الكامل الَّذي لا يعلوه فضل، فإنَّ الصُّعود إلى إحدى تلك المراتب في الدُّنيا، وما يتبعه من مرافقة أهلها، وأهل من

تُنال الأُعْطياتُ بفضل مَنَّان الأرض والسَّموات

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1754.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فضل).
(3) الخليل، العين: (فضل).
(4) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (فضل).
(5) الرّاغب، المفردات: (فضل).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فضل).

فوقها في الآخرة، هو منتهى السَّعادة، فيه يتفاضل النَّاس فيَفْضُلُ بعضهم بعضًا، وهو مِنَ اللّه تفضَّل به على عباده، وثانيهما: أنَّ ذلك الفضل الَّذي ذكره مِن جزاء المطيعين هو مِنَ اللّه تعالى[1].

وترشدُ الآية الكريمة إلى: بيان أنَّ المرء لن ينال تلك الدَّرجة العظيمة بطاعته، وإنَّما ينالها بفضل اللّه ﷻ، وبِرَحْمَتِهِ، فهُوَ الَّذِي أَهَّلَهُمْ لِذَلِكَ، لَا بِأَعْمَالِهِمْ[2]، وكون الجزاء بفضل اللّه فيه إشارة إلى أنَّ العمل وحده لا يستوجب العطاء، وأنَّ الطَّاعة فيها مصلحة للعباد[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة التَّعبير باسم الإشارة:

التَّعبير باسم الإشارة تقرير ما للمطيعين مِنَ الأجر والفضل

في الابتداء بـ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى ما للمطيعين مِنَ الأجر، ومزيد الهداية، ومرافقة المُنعَم عليهم، أو إلى فضل هؤلاء المُنعَم عليهم ومزيَّتهم[4].

بديع نسبة الفضل إليه:

نَسبَ تعالى الفضل إلى نفسه؛ تفخيمًا لأمره، وتنبيهًا على تفرُّد علمه

بيَّن اللّه تعالى أنَّ ذلك الفضل الَّذي ذكره بقوله: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ هو مِنَ اللّه على الإطلاق لا من غيره، فنُسِبَ إلى نفسه؛ تفخيمًا لأمره[5]، وتنبيهًا على أنَّه هو أعلم بمقادير الفضل وأعرف وأدرى، وقد حكم بأنَّ الفضل المعتدَّ به هو ذاك[6].

يجوز أن يكون ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبر الابتداء هو، ويجوز أن يكون مبتدأ، و﴿ٱلْفَضْلُ﴾ خبره، كقولك: ذاك هو الرَّجل، وهذا هو المال، تنبيهًا على كماله؛ فإنَّ الشَّيءَ إذا عَظُم أمره؛ يوصف باسم جنسه،

(1) رضا، تفسير المنار: 5/202.
(2) البغويّ، معالم التّنزيل: 2/248، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/357.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1754.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/83.
(5) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 3/1315، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/137.
(6) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 3/1316.

كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ [العنكبوت: 68][1]، والتَّقدير: ذلك هو الفضل منَ الله، ومعناه: أنَّ ذلك الثَّواب لكمال درجته كأنَّه هو الفضل منَ الله، وأنَّ ما سواه فليس بشيءٍ[2].

فضل المُنْعِم سبحانه تامٌّ كاملٌ، وما سواه ليس بشيءٍ

قصديَّة التَّعبير عنِ الجزاء بلفظ الفضل:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ ردٌّ على تقدير مُعترِض على وجوب استواء أهل الطَّاعة والنَّبيِّين في منازل الآخرة، لبيان الفرق بينهم في الدُّنيا، فذكر الله تعالى أنَّ ذلك بفضله لا بوجوبٍ عليه[3]، ولا رادَّ لفضله إذا أنعم، وجازى، وأكرم.

إيثار لفظ الفضل للتَّذكير بأنَّ استواء المنزلة بفضله لا بوجوبٍ عليه

كون الجزاء بفضل الله فيه إشارة إلى أنَّ العمل وحده لا يستوجب العطاء، إنَّما هو من فضل الله تعالى.

التعبير بـ"الفضل" إشارة إلى أنَّ العمل وحده لا يستوجب العطاء، إنَّما هو من فضل الله تعالى

فإن قال قائل: أو ليس بالطَّاعة وصلوا إلى ما وصلوا إليه من فضله؟

قيل له: إنَّهم لم يطيعوه في الدُّنيا إلَّا بفضله الَّذي تفضَّل به عليهم، فهداهم به لطاعته، فكلُّ ذلك فضل منه تعالى ذكره[4]، فقد صحَّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: "لا يُنجِي أَحَدَكُم عَمَلُهُ، قَالوا: ولا أَنتَ يا رَسولَ اللهِ؟ قال: ولا أَنا إلَّا أَن يَتَغَمَّدَني اللهُ منه برحمةٍ، فَسَدِّدوا، وقارِبوا، واغدوا، وروحوا، وشَيءٌ مِنَ الدُّلجَةِ، - أي: من قيام اللَّيل-، والقَصدَ القَصدَ تَبلُغوا"[5].

سرُّ تعريف جزئَي جملة الفضل:

التَّعريف حصْرٌ ادِّعائيٌّ أُريد به المبالغة في قوَّة هذا الفضل

تعريفُ الجزأين في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ يفيد الحصْر،

(1) الرَّاغب، تفسير الرَّاغب: 3/1315.
(2) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/137.
(3) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/76.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 7/217.
(5) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1754، والحديث الشريف أخرجه البخاري، الحديث رقم: (6463)، ومسلم، الحديث رقم: (2816).

وهو حصْرٌ ادِّعائيٌّ؛ لأنَّ فضل الله أنواع، وأصناف، ولكنَّه أُريد المبالغة في قوَّة هذا الفضل، ووصف عظَمته، فهو كقولهم: أنت الرَّجل[1].

علَّة إدخال الباء في لفظ الجلالة:

إدخـــال البـاء لـلـدَّلالـة على الأمر في (وكفى)، ولتأدية معنى مطلق التَّسليم

أُدخلَت الباء على اسم الله في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾؛ لتدلَّ على الأمر الَّذي في قوله: ﴿وَكَفَىٰ﴾، وفيه معنى أن يقول: فسلِّموا لفعل الله وتفضُّله بدل الاعتراض عليه، واكتفوا بعلمه في ذلك وغيره[2]، فدخول الباء مُشعِرٌ بأنَّ قوله: ﴿وَكَفَىٰ﴾ مُتضمِّنٌ للفعل (اكتفِ)، والتَّقدير: اكتفِ باللَّه عليمًا بطاعة المطيعِ منهم ومعصيةِ العاصي، فإنَّه لا يخفى عليه شيء من ذلك.

توجيهُ فاصلة الآية الكريمة:

علم الله تعالى بكيفيَّة الطَّاعة، ومجازاتها، فيه ترغيبٌ بتحقُّقها عـلى وجـهـهـا الأكمل

في قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ موقعٌ عظيم في توكيد ما تقدَّم منَ التَّرغيب في طاعة الله؛ لأنَّه تعالى نبَّه بذلك على أنَّه يَعْلَم كيفيَّة الطَّاعة، وكيفيَّة الجزاء، والتَّفضُّل، وذلك ممَّا يُرغِّبُ المكلَّف في كمال الطَّاعة، والاحتراز عنِ التَّقصير فيه[3].

التَّـذيـيـل فيه إشـارة إلى علم الله تعـالى بما لا يعلمه النَّاس من فضل وجزاء

التَّذييل بقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ للإشارة إلى أنَّ الَّذين تلبَّسوا بهذه المنقبة، وإن لم يعلمهم النَّاس، فإنَّ الله يعلمهم، والجزاء بيده، فهو يوفِّيهم الجزاء على قدر ما علم منهم[4]، فهو سبحانه يعلم من يستحقُّ فضله وعطاءه، ومن لا يستحقُّ، وأنَّ الطَّاعة هي طاعةٌ للعليم بكلِّ شيء، فالطَّاعة فيها مصلحة للعباد[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/116.
(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 2/76.
(3) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 10/137.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/116.
(5) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1754.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»